المبحث الخامس

مفهوم الغلو عند العلمانيين

إن المتتبع لكتابات الإتجاه العلماني عن هـذه المشكلة يجد أن أصحاب هذا الاتجاه يحملـون تصوراً خـاصاً للغلـو ، يمثل اتجاهـاً مستقلاً ، يختلف عن تصـور العلماء والمفكـريـن المسلمين ، ولقـد حـرصـت على تحديـد المفهـــوم العلماني للغلـو عبر وسيلتين :

الوسيلة الأولى :

قراءة ندوة أقامتها مجلة فكر للدراسات والأبحاث قراءة نقدية تحليلية مستخدماً في ذلك منهج تحليل المحتوى أو تحليل المضمون وذلك بالكيفية التالية :

أ- التحليل الكمي : فقـــد أحصيت الكلمات أو الجمل التي تعـــد مهمـــة في الموضوع ، لمعرفة المحاور الأساسية التي دار حولها الحوار .

ب- التحليل الكيفي : فقد قمت باستخلاص بعض التعريفات والجمل المهمة أو النتائج التي توصل إليها المتدون[1] .

الوسيلة الثانية :

قراءة بعض المؤلفات ، واللقاءات الصحفية والمقالات التي كتبها أصحاب هذا الاتجاه لاستخلاص أهم التعـريفات أو العبارات الدالـة على المفهوم العلماني للغلو في الدين .

مع العلم أني ساقتصر هنـا على عرض مفهومهم للغلو دون التطـرق لتصوراتهم الأخرى المتعلقة بالأسباب والآثار وكيفية العلاج .

---

(١) شارك في الندوة أقطاب الاتجاه العلماني وهم :

١- د/ فؤاد زكريا
٢- لطفي الخولي
٣- د/ وحيد رأفت
٤- د/ محمد نور فرحات
٥- د/ طاهر حكيم
٦- د/ الحبيب الجنحاني
٧- د/ فرج فودة
٨- د/ يونان لبيب رزق
٩- د/ رؤوف عباس

وفي الندوة تصريحٌ بين بأن المشاركين فيها يمثلون الاتجاه العلماني .

أولاً : تحليل مضمون الندوة :

عند التحليل الكمي للكلمات والجمل المهمة في هذه الندوة تبين أنه بالإمكان تصنيفها إلى ثمان مجموعات هي :

المجموعة الأولى :

الجمل التي تدور حول ما يسمى تسييس الدين وذلك مثل :

١ - الطرح الديني للقضية السياسية .

٢ - تديين السياسة .

٣ - التيار السياسي الديني .

٤ - تسييس الدين .

٥ - الشكل السياسي الديني المتطرف .

٦ - الحكومة الإسلامية أو الحكومة الدينية .

وقد وردت هذه الجمل مائة وستاً وثلاثين مرة .

المجموعة الثانية :

الجمل التي تدور حول تطبيق الشريعة وذلك مثل :

أ- تطبيق الشريعة .

ب- الإسلام كدين ودولة .

ج- فصل الدين عن الدولة .

د- الحاكمية الإلهية .

وقد وردت هذه الجمل ستاً وثمانين مرة .

المجموعة الثالثة :

الجمل التي ترمز للتيار الإسلامي بشكل عام مثل :

أ- الاتجاه الديني .

ب- الحركات الدينية .

ج- التيار الإسلامي الديني .

وقد وردت هذه الجمل خمساً وأربعين مرة .

المجموعة الرابعة :

الكلمات أو الجمل التي ترمز إلى تيار الغلو وذلك مثل :

أ- الاتجاهات المتطرفة .

ب- التطرف السياسي الديني .

ج- التطرف .

وقد تكررت اثنتين وأربعين مرة .

المجموعة الخامسة :

الجمل التي تدور حول البنوك الإسلامية والاقتصاد الإسلامي وذلك مثل :

أ- البنوك الإسلامية .

ب- الاقتصاد الإسلامي .

ج- أسلمة البنوك .

وقد وردت هذه الجمل سبعاً وعشرين مرة .

المجموعة السادسة :

الكلمات والجمل التي تشير إلى التكفير وتجهيل المجتمع وقد وردت ثمان مرات فقط .

المجموعة السابعة :

كلمتا الحجاب والجلباب وقد تكررت خمس مرات .

المجموعة الثامنة :

السياحة الإسلامية . ويقصد بها كما ورد في الندوة : الفنادق التي تحرم الخمور ونحوها [1] وقد تكررت هذه الكلمات خمس مرات .

---

(١) مجلة فكر ، عدد ٨ ، ندوة التطرف ص ٥٧ .

نتائج التحليل وشواهده :

بعد التحليل الكمي السابق يتضح أن المحاور الأساسية للغلو من وجهة النظر العلمانية محوران :

أ- تسييس الدين .

ب- تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة فكل عمل يدخل تحت أحد هذه الجانبين فهو من الغلو، يقول د/ فرج فودة[1] في تفسيره لظاهرة التطرف الديني في هذه الندوة: «إنّ هناك طرحاً دينياً شديد الوضوح والقبول لمشكلة سياسية شديدة الغموض والتخلف»[2]

ويوضح تعريفه هذا بقوله : « إن الهدف الأساسي للتيار الإسلامي الديني ، هو هدف سياسي مضمونه إقامة دولة دينية إسلامية، وهو هدف شديد الغموض لأنهم جميعا يتحاشونه ، ويحصرون الحوار دائماً في الهدف المعلن وهو تطبيق الشريعة الإسلامية»[3].

ويؤكد اتفاق المنتدين على هذا المفهوم للغلو ما اختتم به د/ فؤاد زكريا مدير الندوة في جلستها الأولى الكلام في مفهوم الغلو من قوله : « أعتقد الآن أننا وصلنا إلى بلورة لهذا البعد ، وأننا متفقون على أن هذا التيار الديني القديم قد أخذ في السنوات الأخيرة شكلاً سياسياً واضحاً ومنظماً » .[4]

ويتردد هذا المفهوم كثيراً في كتاباتهم. يقول فرج فودة: « أن يعلن أحد الشباب عن اعتناقه للفكر السياسي الإسلامي ، فهذا رأي في تقدير البعض ، واندفاع في تقديري فالدين أعز من أن يقحم

---

(١) هو فرج علي فوده ، كاتب مصري ، حاصل على دكتوراه في الفسلفة الزراعية من جامعة عين شمس عام ١٩٨١م له كتب عدة معظمها في نقد الصحوة الإسلامية المعاصرة ، ومحاربة تطبيق الشريعة الإسلامية ، ينظر غلاف كتابه الارهاب ص ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٤

(٤) المصدر نفسه ص ٤٨ .

في السياسة ، وأنزه من أن يلوث بمغامرات الساسة . . . »[1] .

ويتفق محمد سعيد العشماوي[2] مع هذا فيكتب كتاباً عنوانه (الإسلام السياسي) وكل هذا الكتاب عن تسييس الدين ، وتطبيق الشريعة ، باعتبار أنهما من التطرف والغلو وأن الإسلام دين عبادة ، لا دخل له في السياسة والنظم ومعظم ردوده في هذا الكتاب على ما أسماه تيار تسييس الدين بالعنف والتطرف .[3] ويظهر جليا أن الكلمتين الأخيرتين شارحتان مؤكدتان وليستا بمؤسستين . إذ مقصوده كما يظهر لقاريء الكتاب أن تيار تسييس الدين متصف دائماً بهاتين الصفتين .

وفي الندوة يتبين من خلال الحوار مفهومهم لتديين السياسة . يقول فرج فودة : «إن الاتجاه نحو تديين السياسة كان موجوداً في برنامج الوفد الذي قدم في سبتمبر ١٩٥٣م إلى حكومة الثورة حيث ضم بنداً ينص على منع أو تحريم الخمور وإلغاء القمار وما إلى ذلك ، كمحاولة لتديين الفكر السياسي واستقطاب المشاعر الدينية من خلال توجهات سياسية »[4] فعلى هذا فإن الدولة التي تحرم هذه الأشياء تعتبر متطرفة لإدخالها الدين في السياسة .

هذا عن تديين السياسة . أما الدعوة إلى تطبيق الشريعة في كل مناحي الحياة فهو المعلم الثاني الدال على الغلو والتطرف في مفهومهم يقول أحد المشاركين في الندوة : «إن أصحاب هذا التيار كانوا وما زالوا يخلطون بين الدعوة إلى الإسلام كدين وعقيدة وأخلاق ، وبين الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كمجموعة من النصوص التي تنظم المعاملات الاجتماعية بين الناس »،[5] ولذلك يرى « أن من المهام الرئيسية الملقاة على عاتق العقلانيين في مصر والعالم العربي الدعوة إلى الفصل بين الإسلام وبين الشريعة الإسلامية »[6] .

---

(١) التطرف الديني وأبعاده السلبية ، مجلة المنار عدد ٣٦ ص ٤٩ .

(٢) هو محمد سعيد العشماوي رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر ، تدرج في العديد من المناصب القضائية ، وحاضر في العديد من الجامعات الأمريكية ، وهو من أشد المناوئين لتطبيق الشريعة الإسلامية ، ينظر غلاف كتابه (الإسلام السياسي)

(٣) ينظر الصفحات الآتية ، ٤٥ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٤ . . . وغيرها

(٤) مجلة فكر ، ندوة التطرف ، ص ٦٧ .

(٥) د/ نور فرحات ، مجلة فكر ، ندوة التطرف ص ٤١ .

(٦) المصدر نفسه ص ٤٩ .

ويعتذر بعض المنتدين عن أنفسهم فيزعم بأن « الفصل بين الدين والدولة ليس معناه العدوان على الدين »[1]، ويؤكد اهتمامهم ومحاربتهم لتطبيق الشريعة الإسلامية ما صدر في عام واحد تقريباً عن أصحاب الفكر العلماني من كتب حول تطبيق الشريعة على أنها ضرب من التطرف[2]، ولذلك فهم يناقشون في الندوة كل تمسك بأمر من أمور الشرع وتطبيق لأمر من أوامره على أنه غلو وتطرف ، من ذلك : مناقشتهم لقضية البنوك الإسلاميةً فهم يتداولون موضوعها على أنه الطرح الديني للمشكلة الاقتصادية التي من المفترض أن تكون خارجة عن نطاق الدين ، وكذلك يناقشون الحجاب والجلباب على أنهما مظهران شكليان دالان على الغلو والتطرف ، ولذلك تصدر بعض التعليمات في أجزاء من البلاد الإسلامية مانعة لبس النساء للحجاب باعتباره مظهراً دالاً على الغلو والتطرف[3].

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يقول د/ فؤاد زكريا : « إن امتلاء الساحة بالكتب التي تحرم التصوير والموسيقى وتخوف الناس من عذاب القبر ليس سببا لتطرف هؤلاء الشباب ، بل أنه نتيجه له ، وهو ذاته جزء لا يتجزأ من ظاهرة التطرف التي نسعى إلى تقليلها »[4].

ومن الكتب التي أصدرها العلمانيون لمناقشة هذه الظاهرة كتابٌ عنوانه (هذا هو إسلامهم)[5] ويتصدر غلاف الكتاب صورة لرجل له لحية كثة ، وثوب إلى الركبة ، ويحمل عصا غليظة كتب عليها الموعظة الحسنة !!!

---

(١) لطفي الخولي ، المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(٢) الكتب هي :

١- الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصره د/ فؤاد زكريا

٢- قبل السقوط د/ فرج فوده

٣- المجتمع و الشريعة والقانون د/ محمد نور فرحات

٤- حول الدعوة الى تطبيق الشريعة الإسلامية حسين أحمد أمين

(٣) انظر جريدة الصباح التونسية عدد ٢٣/ ٩/ ٨١

وانظر الشكل المرفق

(٤) جريدة الأهرام عدد ١٢/ ٦/ ١٩٨٨ .

(٥) لمؤلفته د/ سعاد منسي

المنشور 108

«صيانة الزي والعناية بالمظهر والهندام»

في الادارات والمدارس!؟

الصباح 81/9/23

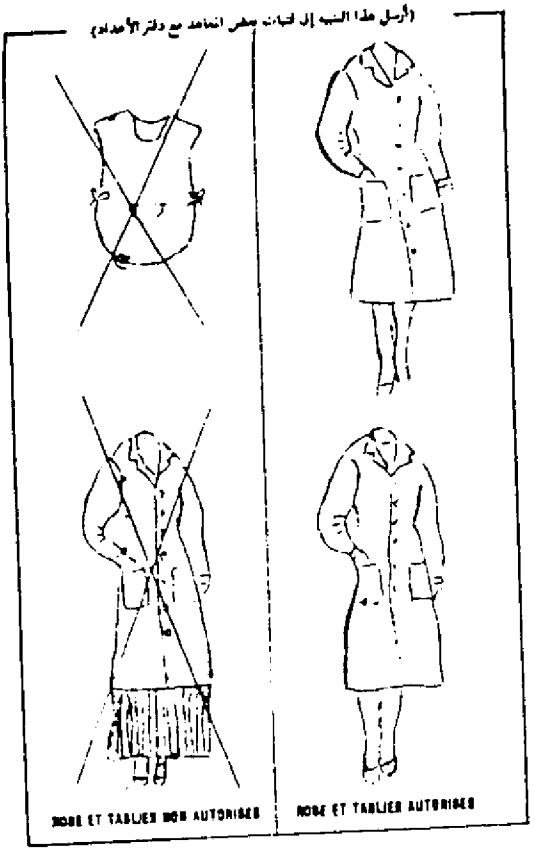

وفي نفس السياق فقد لوحظ بروز ظاهرة أخرى تتمثل في الخروج عن تقاليدنا في اللباس وذلك بالاتجاه بعضهن الى التحاف زي يكاد يكتسي صفة اللباس الطائفي المنافي لروح العصر والتطور السليم.

ولئن ادعى هذا الزي لنفسه الاحتشام فانه يرمز لا محالة الى ضرب من الشذوذ والانتساب الى مذهب متطرف هدام وهو يتعارض مع ما دعا اليه الجامعة الأكرم فخامة الزعيم الحبيب بورقيبة في الخطاب الذي القاه في شهر جوان بمناسبة يوم العلم من ضرورة تحييد معاهد التعليم وابعادها عن كافة التيارات السياسية.

وتبعا لذلك وحفاظا على سمعة معاهدنا وساحتنا وبيئاتنا فاني اهيب بجميع رؤساء المعاهد ورئيساتها ان يحرصوا على تطبيق التراتيب المشار اليها بما يقتضي من الجد والحزم والا يتساهلوا من يتعمد مخالفتها والسلام.

وزير التربية القومية
محمد فرج الشاذلي

وهذا الكتاب يدور في مجمله على ما يلي :

١ - تطبيق الشريعة .

٢ - الحكومة الدينية .

٣ - لبس الحجاب والجلباب .

٤ - رفع الصوت بالأذان .

وليس في الكتاب مناقشة لظاهرة التطرف أو الغلو إلا من هذه الوجهة التي هي بزعم الكاتبة التطرف .

ويدل على محاربتهم لتطبيق الشريعة الإسلامية وعدّها من الغلو اقحامهم لاسم دولتين عربيتين مسلمتين إحداهما ، تعلن تطبيق الشرَيعة الإسلامية ، والأخرى مرت بها محاولة لتطبيقها وهما :

١ - المملكة العربية السعودية .

٢ - جمهورية السودان [١] .

حيث يقحم اسما هاتين الدولتين ويردان في الندوة على سبيل التندر أو على سبيل الاتهام .

وبالجملة فإن العلمانيين يرون أي خروج عن الخط الغربي الوافد على المجتمعات الإسلامية - الذي أصبح مألوفاً ومعتاداً - غلواً وتطرفاً يقول د/ سعد الدين إبراهيم[٢] في تعريف التطرف الفكري والمذهبي إنه : « في أبسط تعريفاته خروج عن القواعد والأطر الفكرية والدستورية والقانونية التي يرتضيها المجتمع والتي يسمح في ظلها بالخلاف والحوار » .[٣]

ويقول عن التطرف الديني أنه : « بمعنى الخروج عن المعتاد أو المتعارف عليه في العقيدة والشعور والسلوك لدى أغلبية الناس »[٤] .

---

(١) التطرف السياسي والديني ، مجلة فكر ، عدد ٨ ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) سعد الدين ابراهيم ، ولد بالمنصورة عام ١٩٣٨م تعلم في الجامعات المصريه وحصل على الدكتوراه من جامعة سياتل بأمريكا في الاجتماع السياسي عام ١٩٦٨م يعمل الآن أستاذاً لعلم الاجتماع في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ورئيس الشؤون العربيه بمركز الدراسات السياسيه والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ، ينظر غلاف كتابه مصر تراجع نفسها .

(٣) مصر تراجع نفسها ، ص ١٥ .

(٤) مصر تراجع نفسها ص ٢١ .

وبهذا يتضح المفهوم العلماني للغلو ويتضح أنهم إنما يقصدون بتيار الغلو والتطرف التيار الإسلامي بشكل عام ، ويؤكدون هذا بمنطوقهم ، يقول أحد المشاركين في الندوة : « إن هذا التيار [والكلام عن التطرف] موجود من بداية تكون جماعة الإخوان المسلمين بل ومنذ الشيخ رشيد رضا[1] حينما بدأ دعوته »[2] ويوضح د/ فرج فودة هذه النظرة ببيان تقسيمه لتيار الغلو والتطرف فيقول : « أرى أن هذا التيار متعدد الجوانب وليس تياراً واحداً ، ويجب أن نسلم بأن أخطر ما في هذا التيار هو وجود ما أسميته بالتيار الثوري »[3] .

ويخال القاريء لهذه الندوة أنها إنما عقدت لمناقشة التيار الإسلامي بشكل عام ، ولكن ما يلبث مدير الندوة في جلستها الثانية أن يؤكد على موضوعها فيقول : « . . . إن ما ينبغي أن نواجهه هو التطرف ، أي هذه الجماعات الدينية المتطرفة ، وهذا موضوع اللقاء »[4] .

والحقيقة أنهم يعممون الغلو والتطرف ويصمون به كل الدعاة إلى الإسلام ، ويؤكد العلمانيون وقوفهم ضد كل ما تطرحه التيارات الإسلامية التي لا يرون فيها الاعتدال والغلو بل الجميع إما غلاة جداً أو غلاة فقط .

ومع أن الإطلاقات التي يستعملونها في دراسة الظاهرة مثل التطرف والأصولية والتعصب تطلق غير منضبطة بضوابط علمية إلا إن بعض العلمانيات تناشد الكُتَّاب أن يصححوا مصطلحاتهم فلا يستعملوا مصطلحات مثل (الإسلاميين ، والمد الإسلامي ، والتيار الإسلامي) إذ ترى أن استعمال هذه المصطلحات يؤدي إلى مزيد من التمسك بها ، وترى أن الاسم الفعلي لهؤلاء (اللاإسلاميون) بل تذهب إلى أبعد من هذا فتقول إنهم حقيقون بوصف (المشردون) وأن ما يمارسونه هو التشرد الديني[5] .

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الاصلاح ، ولد عام ١٢٨٢هـ بقلمون في لبنان وتعلم بها ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه واستقر بمصر إلى أن توفي عليه رحمه الله عام ١٣٥٤هـ اشهر آثاره مجلة المنار التي أفردت الفتاوى منها فصارت في ستة مجلدات ، ينظر الاعلام ج ٦ ص ١٢٦

(٢) د/ طاهر حكيم ، مجلة فكر ، عدد ٨ ص ٤٨ .

(٣) مجلة فكر ، عدد ٨ ص ٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٢ .

(٥) ينظر سعاد منسي ، هذا هو اسلامهم ، ص ٤٤ و ص ١٢٣ - ١٢٤ .